وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

كلّية الآداب و اللّغات

قسم الآداب و اللّغة العربية

المقياس : التّطوّر الدّلاليّ

المستوى: السّنة الأولى ماستر/ تخصّص لسانيات تطبيقيّة / المجموعة الرّابعة

محاضرات في التطّوّر الدّلاليّ

إعداد : د/ رفيقة بن ميسيّة

السّنة الجامعيّة 2020-2021م

المحاضرة الثّالثة : التّطوّر الدّلاليّ – مفهومه – أنواعه –تجلّياته

توطئة :

عُدّت ظاهرة التّطوّر الدّلاليّ « ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات يلمسها كلّ دارس لمراحل نموّ اللّغة و أطوارها التّاريخيّة ، و قد يعدّه المتشائم بمثابة الدّاء الذي يندرُ أن تفرَّ أو تنجو منه الألفاظ ، في حين أنّ من يؤمن بحياة اللّغة و مسايرتها للزّمن ، ينظر إلى هذا التّطوّر على أنّه ظاهرة طبيعيّة دعت إليها الضّرورة الملحّة . »

و يدلُّ هذا الكلام على أنّ مسألة تطوّر دلالة الألفاظ مسألة حتميّة ، بغضّ النّظر عن تقييمها ، فقد عدّت داء لا تنجو منه الألفاظ في تصوّر من ينظر إلى هذا التّطوّر أنّه سلبيّ ، في حين عدّت ظاهرة طبيعيّة فرضتها التّغيرات الاجتماعيّة و الثّقافيّة و الحضاريّة التي يعرفها المجتمع في تصوّر من ينظر إلى هذا التّطوّر في شكله الإيجابي .

أمّا عن علاقة التّطوّر الدّلالي بالتّطوّر اللّغوي ، فهي علاقة الجزء بالكلّ ، إذ إنّ التَّطوُّر اللّغويّ يشمُلُ اللّغةَ في مختلف مستوياتها ؛ صوتيّة ، صرفيّة ، نحويّة و دلاليّة ، و بذلك يكون التّطوُّر الدَّلاليّ جزءا من التَّطوُّرِ اللُّغويّ .

أوّلا : مفهوم التّطوّر الدّلالي :

التَّطوُّرُ الدَّلاليُّ و هو مجال من مجالات التّطوّر اللّغويّ ، و هو المجال الأكثر عرضة للتّطوّر ؛ لأنّ المفردات قابلةٌ للتّأثرِ بالزّمن و أطواره التّاريخيّة ، و هي مقترنة بنمط تفكير الإنسان ، إذ لا يمكن أن يبقى نمطه التّفكيريّ رهين فترة زمنيّة معيّنة ، ورهين نسق ثقافيّ أو اجتماعيّ معيّن ، بل إنّ نمطه التّفكيريّ في حركيّة دائمة ، و هذه الحركيّة أو الدّينامكيّة تستدعي ألفاظا جديدة و دلالات جديدة أيضا ، فما يطرأ على الفكِر يطرأ على اللّغة أيضا .

و انطلاقا من هذا الطّرح ، فقد عرّف التّطوّر الدّلالي بأنّه "انتقال الألفاظ من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل" .

و عرّف أيضا بأنّه "التّغيّر الذي يصيب دلالات الألفاظ (مفردة أو مركّبة) في لغة ما عبر عصورها المختلفة ، متى توافرت الدّواعي أو الأسباب التي تؤدِّي إلى ذلك " .

أيّ أنّ التّغيّر الذي يصيب الألفاظ و دلالاتها في لغة ما لا بدّ أن يقترن بفترة زمنيّة معيّنة وجيل معيّن أيضا ، وذلك لمعرفة كيف تطوّرت دلالة هذه الألفاظ ، و ما هي أسباب وعوامل ذلك التّطوّر ، و ما هي خصوصياته . فالتّطوّر خاصيّة متعلّقة بطبيعة الفكر و العصر و الجيل في الوقت نفسه .

و يدرج **حسن ظاظا** التّطوّر الدّلالي تحت مصطلح ظاهرة الابتداع في اللّغة ، فيرى أنّه أمرٌ مرتبطٌ بالنَّمط الفكريّ و الحضاريّ لأيّ مجتمع ، و يكون ذلك بإحداث ألفاظ جديدة ، أو إعطاء معان جديدة لألفاظ قديمة ، أو استعارة ألفاظ من لغات أخرى.()

و للإشارة ، فإنّ الدّارسين على مستوى بحوثهم النّظريّة و التّطبيقيّة ، قد استعملوا مصطلحيّ التّطوّر و التّغيّر بالمعنى نفسه ، على الرّغم من محاولة التّفريق بينهما ، و قد تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع سابقا . إذ بقي هذا التّفريق مجرّد كلام نظريّ لا أكثر ، و هذا ما نجده واضحا في متن مؤلّفاتهم ، إذ نجدهم يزاوجون بين المصطلحين في الوقت نفسه على الرّغم من اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر ، و هذا يعني أنّ التّطوّر عندهم هو مطلق التّغيّر الذي يحدث للّغة دون الحكم عليه ، يقول **المسدّي**: « إنّ الحقيقة العلميّة التي لا مراء فيها اليوم هي أنّ كل الألسنة البشريّة ما دامت متداولة ، فإنّها تتطوّر، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريّة لا إيجابًا ولا سلبًا ، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر ،إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتّراكيب من جهة ، ثم في الدّلالة على وجه الخصوص. () »

و يقول **أحمّد محمّد قدّور** أيضا : « فالتّطوّر الدّلاليّ يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى ، من غير أن يحمل صفة تقويميّة تشير إلى الحكم على التّطوّر بالخطأ و الصّواب ، و إلى هذا ذهبنا في الفصل الأوّل حين اعتمدنا مصطلح " **Change** " الذي يدلّ على التّغيّر أيّا كان نوعه و مداه . » ()

ثانيا : أنواع التّطوّر الدّلاليّ

إذا تأمّلنا فيما كتبه اللّغويون المحدثون في مجال التّطوّر الدّلاليّ ، فإنّه يمكن استنتاج فكرة مفادها أنّ اللّغات يعتريها نوعان من التّطوّر ؛ تطوّر شعوريّ (مقصود ، متعمّد) ، و تطوّر لا شعوريّ (غير مقصود ، غير متعمّد) .

أ / التّطوّر الشّعوري أو المقصود : و هو التّطوّر الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام كالشّعراء و الأدباء الذين يبتدعون ألفاظا جديدة و معاني جديدة أيضا انطلاقا من حاجتهم إلى توضيح دلالة أو تقوية أثرها في الذّهن ، وقيام المجامع اللّغويّة والهيئات العلميّة بوضع مصطلحات جديدة، أو إضفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجاراة التّطوّر في مجالات الحياة المختلفة ، و هذا النّوع من التّطوّر يتوقّف انتشاره على مدى استجابة أفراد المجتمع لما وضع من مصطلحات و تسميات و على العوامل المؤثّرة في ذيوعه كوسائل الإعلام و غيرها. ()

ب/ التّطوّر غير الشّعوريّ أو غير المقصود : و هو التّطوّر الذي يتمّ بلا تعمّد أو قصد ، و لا ينتبه إليه إلاّ بعد المقارنة بين عصور اللّغة ، وهو الذي حظي بالاهتمام والدّراسة، وقد استطاع اللّغويون المحدثون بعد طول النّظر فيما يحدث للمعاني من تغيّرات في لغات كثيرة أن يحدّدوا عددا من الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى هذا التّطوّر تصدق على جميع اللّغات . ()

ثالثا : تجلّيات التّطوّر الدّلاليّ :

أ - التّطوّر الدّلالي في الفكر التّراثي العربي القديم :

ترك اللّغويون العرب القدماء كتبا فاخرة تحمل في طيّاتها تطوّر دلالة الألفاظ العربيّة سواء أشير إلى ذلك بطريقة مباشرة في كتب خاصّة بمجال تحديد دلالات الألفاظ و تفريعاتها الاشتقاقيّة ، أو أشير إليه بصورة غير مباشرة مثلما هو ممثّل في أبواب بعض الكتب ، أو كما هو وارد في معاجم اللّغة

بيد أنّ علماء اللّغة القدماء و على الرّغم من اعترافهم بهذا التّطوّر ، فإنّهم قصروه على حقبة معيّنة و رفضوا كلّ تغيّر في المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف معظمهم من هذا التّطوّر موقفا معارضا و شدّوا النّكير على هذا الجديد في المعنى بدافع الحرص على سلامة اللّغة و الحفاظ عليها ، و من أجل تنقيتها لئلاّ تفسد و مراعاة لمبدأ الصّحّة اللّغويّة و الفصاحة فيها و لم يكن لهذا الموقف أن يؤثّر في الحركة الدّائبة لتطوّر دلالة الألفاظ . ()

و من أهمّ هذه المصنّفات التي أشارت إلى التّطوّر الدّلاليّ راصدة بعض مظاهره و أشكاله رغم عدم استعمالها لمصطلح التّطوّر ، نذكر :

***جمهرة اللّغة لابن دريد (ت 321هـ) :** حيث عقد ابن دريد في هذا الكتاب بابا تناول فيه تعميم الدّلالة و تخصيصها و انتقالها سمّاه **(باب الاستعارات)** ، () ، يقول في هذا الباب مشيرا إلى انتقال دلالة اللّفظ من دلالته الخاصّة إلى دلالته العامة : « **(النُجْعَةُ)** : أصلها طلب الغيث، ثمّ كثر فصار كلّ طلب انتجاعًا ، و**(المنيحة)** : أصلها أن يُعطى الرّجل النّاقة أو الشّاة ، فيشرب لبنها ، و يجزّ وبرها و صوفها ، ثمّ صارت كلّ عطيّة منيحة، و**(الوغى)** : اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى، وكذلك **الواغية... و(الغيثُ) : المطر**، ثمّ صار ما نبت بالغيث غيثًا.... » () ، كما تعرّض أيضا في كتابه بصورة عامّة لنماذج كثيرة من الكلمات تعرّضت للتّخصيص و التّعميم و الانتقال الدّلالي دون ذكر هذه المظاهر ذكرا مباشرا .

***كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي (ت 322هـ)** ، و هو كتاب خصّص لتتبّع تطوّر بعض دلالات الكلمات الإسلاميّة ، و تبيين ما كانت عليه قديما ، ومن أمثلة ذلك : الصّلاة و الرّكوع و السّجود و الصّيام و الزّكاة و غيرها من الألفاظ ، كما تعرّض أيضا لتتبّع التّراكيب الإسلاميّة التي لم تكن للأمم الماضيّة عهد بها ، مثل : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، حسبنا الله و نعم الوكيل ، السّلام عليكم و غيرها من التّراكيب ، كما تعرّض أيضا في كتابه إلى ظاهرة انتقال الدّلالة من المحسوس إلى المجرّد و ذلك في إطار تتبّع معاني الكلمات ()

***الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة و مسائلها و سنن العرب في كلامها لابن فارس (ت 395 ه) :**

و هو كتاب خصّص فيه ابن فارس أبوابا ذكر فيها تطوّر دلالة الألفاظ ، منها : باب الأسباب الإسلاميّة () ، و قد مثّل لذلك بمجموعة من الألفاظ التي خصّصت دلالتها ، منها : المؤمِن و المسلم و الكافر و المنافق و الصّيام و الصّلاة و غيرها ، يقول في هذا الباب : « كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرثِ آبائهم في لُغاتهم وآدابهم ونَسائكهم (جمع النّسيكة : الذّبيحة) وقَرابينهم ، فلمّا جاء الله- جلّ ثناؤه- بالإسلام ، حالت أحوالٌ ونُسخت **دياناتٌ** ، وأُبْطِلت أمورٌ، ونُقلت من اللُّغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضعَ أخرى بزياداتٍ زِيدتْ ، وشرائع شُرِّعت، وشرائط شُرِطت... فكان ممّا جاء به الإسلام ، ذِكرُ المؤمنِ والمسلمِ والكافرِ والمنافقِ ، وأنَّ العرب إنّما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمانُ وهو التَّصديق، ثمَّ زادتِ الشَّريعةُ شرائطَ و أوصافا بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلِمُ، إنّما عرفت منه إسلامَ الشَّيءِ، ثمَّ جاء في الشَّرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تَعرفُ من الكفر إلاّ الغِطاءَ والسَّترَ، **فأمَّا المنافقُ** فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، و كانَ الأصلُ من (نافقاء اليربوع) **(النّافقاء :إحدى جحرة اليربوع يَكتمها و يُظهر غيرها)** و لم يعرفوا في (الفِسق) إلاَّ قولهم : فَسَقَتِ الرُّطَبة إذا خرجت من قِشْرِها ، و جاء الشَّرع بأنَّ الفِسقَ الإفحاشُ في الخروج عن طاعةِ الله جلَّ ثناؤه ، و ممَّا جاء في الشَّرع (الصَّلاة) و أصله في لغتهم الدُّعاء ...و كذلك الصِّيامُ أصله عندهم الإمساكُ ...ثمَّ زادتِ الشَّريعةُ النِّيةُ و حظرتِ الأكلَ و المباشرةَ و غيرَ ذلك من شرائعِ الصَّومِ ، و كذلك الحَجُّ لم يكُنْ عندهم فيه غير القصد و سَبْرُ الجراحِ ثمّ زادت الشّريعة ما زادَتْهُ من شرائط الحجّ و شعائره ، و كذلك الزَّكاةُ لم تكنِ العربُ تعرفُها إلاَّ من ناحية النَّماءِ و زادَ الشَّرْعُ ما زاده فيها ...» ()

وكذلك " **باب القول في أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها** " ()، حيث ذكر فيه بعض الألفاظ التي عمّمت دلالتها ، و من أمثلة ذلك : أصل **(الوِرْد)** : إتيان الماء، ثم صار إتيان كلّ شيء وِردا ، و **(القُرْبُ)** : طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكلّ طلب، فيقال : هو يقرب كذا، أي : يطلبه، و لا يقرب كذا ، ويقولون : **(رفع عقيرته)** أي صوته، وأصل ذلك : أن رجلاً عُقرت رجله فرفعها وجعل يصيح

بأعلى صوته، فقيل بعد لكلّ من رفع صوته : رفع عقيرته ، **ويقولون : (بينهما مسافة)** وأصله من **(السَّوْف)** وهو الشّمُّ ومثل هذا كثير ، () **و باب آخر معنون بـ " باب آخر في الأسماء "** ()، **حيث تحدّث فيه** عن بعض الألفاظ الجديدة ، منها : المخضرم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهليّة ، كما ذكر بعض الألفاظ التي زالت بزوال معانيها ، منها : المِرباَعُ و النّشيطَةُ و الفُضُولُ [1] و غيرها من الألفاظ التي ترك استعمالها بمجيء الإسلام .()

*** المزهر في علوم اللّغة و أنواعها للسّيوطي (ت 911 هـ) :** تحدّث **السّيوطي** في كتابه **"المزهر في علوم اللّغة " في النّوع التّاسع و العشرين تحت مسمّى " معرفة العامّ و الخاصّ "** ، عن مظهرين من مظاهر التّطوّر الدّلالي ، أوّلهما : تخصيص الدّلالة ضمن فصل سمّاه : "في **العام المخصوص "**، و هو ما وضع في الأصل عامّا ثمّ خُصَّ في الاستعمال ببعض **أفراده** () ذكر فيه اللّفظ العام الذي خُصّص ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره **ابن دريد** ، **فالحجّ** أصله القصد بصورة عامّة ثم خصّ في الاستعمال بقصد البيت و **السّبت**، فإنّه في اللّغة الدّهر، ثمّ خصّ في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع ، و **رثُّ كلّ شيء :** خسيسُه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش و غير ذلك من الألفاظ التي خصّصت دلالتها . ()

و ثانيهما : تعميم الدّلالة ضمن فصل سمّاه :" فيما وضع في الأصل خاصّا ثمّ استعمل عامّا " ()، ذكر فيه اللّفظ الخاصّ الذي عمّم ، و من أمثلة ذلك ما أورده **ابن فارس** في **"باب القول في أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها "من كتابه "الصّاحبيّ " ، كالوِرد ، و العقيرة و القُرْب و المسافة ، وما**

---

[1])- المرباعُ : ما يأخذه الرّئيس و هو ربع الغنيمة ، و قد كانوا في الجاهليّة إذا غزا بعضهم بعضا و غنِموا ، أخذ الرّئيس ربعَ الغنيمة خالصا دون أصحابه ، و النّشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحيّ ، و الفُضُولُ : ما عُجِزَ أن يُقسَمَ لقلّته و خُصَّ به ، أو ما فضل من القسمة ممّا لا تصح قسمته على عدد الغزاة ؛ كالبعير و السّكّين و نحوهما ، ينظر: ابن منظور : لسان العرب ، م 3، ج 18 ، مادّة (ربع) و ابن فارس ، الصّاحبي ، الهامش ، ص 101 .

ذكره ابن دريد في كتابه الجمهرة تحت باب الاستعارات ، ومن مثل ذلك : (النُجْعَةُ) : أصلها طلب الغيث، ثم كثر فصار كلّ طلب انتجاعا، و**(المنيحة)** : أصلها أن يُعطى الرّجل النّاقة، فيشرب لبنها أو الشّاة، ثمّ صارت كلّ عطيّة منيحة، و**(الوغى)** : اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر فصارت الحرب وغى، وكذلك **الواغيةُ**، و**(الغيثُ)** : المطر، ثم صار ما نبت بالغيث غيثا ... ()

و يضاف إلى هذه المصادر التي اهتمّت بتطوّر دلالة الألفاظ ، تفاسير القرآن العظيم التي تناولت هي الأخرى تطوّر دلالة الألفاظ مع ربطها بسياقها في القرآن الكريم ، دون إدراجها ضمن كتاب خاصّ بهذه المسألة ، أو باب يشير إلى المسألة بوضوح ، ()، و من أمثلة ذلك ما ورد في **قول الطّاهر بن عاشور عن أبي عبيدة** في تفسيره لكلمة **" الفسق"** « و فسَق : تجاوز عن طاعته ، و أصله قولهم : فسَقتِ الرُّطَبَةُ : إذا خرجت من قِشْرها ، فاستعمل مجازا في التّجاوز ، قال أبو عبيدة : و الفِسقُ بمعنى التّجاوز عن الطّاعة ، قال أبو عبيدة : لم نسمع ذلك في شيء من أشعار الجاهليّة ، و لا أحاديثها ، و إنّما تكلّم به العرب بعد نزول القرآن » ()، فكلمة **" الفاسق "** لم تعرف العرب منها إلاّ قولهم فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ ، إذا خرجت من قِشرتها ، و بمجيء الإسلام أعطاها مفهوما خاصّا لم يكن مستعملا من قبل عند العرب ، و هو التّجاوز عن الطّاعة ،و هو المعنى الذي أشار إليه **ابن فارس** في باب **" الأسباب الإسلاميّة "** ، حيث قال :« ولم يعرفوا في الفِسْقِ إلاّ قولهم فَسَقتِ الرُّطَبَةُ ، إذا خرجَتْ من قِشْرها ، و جاء الشَّرع بأنّ الفِسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه . » ()

و كلام أبي عبيدة يوحي بأنّ كلمة **" الفاسق "** من الألفاظ التي نقلها الإسلام عن أصلها ، فالفِسْقُ عند العرب خروج الرُّطَبَة عن قشرها فاستعير بعد الإسلام ليدلّ على الخروج عن طاعة الله .

ونقل **الرّاغب الأصفهاني عن ابن الأعرابي أيضا** أنّه لم يسمع الفاسِقَ في وصف الإنسان في كلام العرب ، و إنّما قالوا فسَقَتِ الرُّطَبَةُ عن قشرها .()

ب- التّطوّر الدّلاليّ في الدّرس اللّغوي الحديث و المعاصر :

اهتمّ علماء اللّغة المحدثون بمسألة التّطوّر الدّلالي ، إذ عدّت هذه المسألة المحور الرّئيس لعلم الدّلالة الحديث ، حيث تركّزت جهود الباحثين فيه على دراسة التّغيّرات المتعاقبة التي تحدث للمعنى أو ما يدعى بعلم الدّلالة التّاريخي .() ، فعلم الدّلالة في بداية نشوئه كان مهتمّا بدراسة تطوّر المعنى و تغيّره ، لذا أطلق عليه هذا المصطلح .()

ومن هذا المنطلق فلا غرابة إذا أن تنال مسألة التّطور الدّلاليّ هذا القدر من الاهتمام بين العلماء و الباحثين الغربيين و العرب على حدّ سواء ، و نظر لسعة الموضوع و كثرة المهتمّين بمسائله ، فإنّه يمكن التّمثيل فقط ببعض من كان لهم أثر واضح في هذا المجال .

فعلى مستوى الدّرس اللّغوي الغربي كان اللّغوي الفرنسي **ميشال بريال** من المهتمّين بهذا **المجال**، **حيث** كان اهتمامه مرتبطا ببوادر ظهور **مصطلح علم الدّلالة** ، إذ تبلور هذا المصطلح في صورته الفرنسيّة **semantique** في أواخر القرن التّاسع عشر **سنة 1883** ليعبّر عن فرع من علم اللّغة العام هو "علم الدّلالات " ليقابل " علم الصّوتيات " الذي يعنى بدراسة الأصوات اللّغويّة .()، و قد **كتب ميشال بريال** بحثا بعنوان مقالة في **السّيمانتيك (semantique essai de) سنة 1897** و قد عني فيه بدلالات الألفاظ في اللّغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهنديّة الأوروبيّة ، مثل اليونانيّة و السّنسكريتية و اللاّتينية ، و اعتبر بحثه و قتئذ ثورة في دراسة علم اللّغة و أوّل دراسة حديثة لتطوّر معاني الكلمات .()،

و يعدّ **أرسين دار مستيتر A . Darmeseteter** أيضا من الذين كان لهم إسهام في هذا المجال ، حيث نشر كتابا بعنوان " حياة الألفاظ " **سنة 1887 م (La vie des mots)** ، حيث يقرّ فيه أنّ اللّغة أيّة لغة كانت و في أيّ فترة كانت من وجودها في تطوّر مستمرّ، يتنازعها في تطوّرها عاملان متناقضان تجاهد اللّغة في الاحتفاظ بتوازنها بينها ، و مدى احتفاظها بهذا التّوازن هو ما يؤدّي إلى بقائها و استمراريتها ، و هذان العاملان ؛ هما :

أ/ عامل المحافظة : وهو عامل كان دائما كابحا للتّطوّر اللّغوي ؛ لأنّه ينطلق من فكرة أساسيّة ، و هي أنَّ اللّغة تراثٌ قوميٌّ ، و قد يكون دينيّا أيضا تقتضي الأمانةُ الحفاظَ عليه كما كان على عهد السّلف .

ب/ عامل التّطوّر : وهو عامل ثوريّ متمرّد على الجمود ، تقف من ورائه الحضارة قوّة دافعة ، و لعامل التّطوّر أسباب ، منها : اختلاط النّاس بعضهم ببعض ، الرّحلة من مكان إلى آخر ، وجود عناصر بشريّة تدخل على مجموعة مستقرّة فتؤثّر في نطقها ؛ الهجرة الجماعيّة من البيئة الأصليّة إلى أمصار بعيدة أخرى ، تعاقب الأزمان و الأجيال مع وجود الفارق في دقّة التّلقّي عن طريق السّمع و عن طريق المحاكاة بين الأبناء و آبائهم . كلّ ذلك يحدث عاهات على مستوى شكل اللّغة ، بل يظهر فيها لهجات تتنوّع و تنفصل عن اللّغة الأم .()،

كما كتب **أنطوان مييه (meillet Antoine)** عن الأسباب المؤدّية إلى تغيّر المعنى و حصرها في الأسباب اللّغويّة و التّاريخيّة و الاجتماعيّة . ()،

و نجد **فندريس** أيضا يتحدّث عن مجالات التّطوّر اللّغوي الممثّلة في المجال الصّوتي و الصّرفي و النّحوي و الدّلالي ، معتبرا أنّ جانب المفردات هو الجانب الأكثر تطوّرا مقارنة مع الجوانب الأخرى التي تتميّز بالثّبات و الاستقرار ، و يرجع ذلك إلى أنّ المفردات لا تستقرّ على حال ، لأنّها تتبع الظّروف ، فكلّ متكلّم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممّن يحيطون به ، و طبيعة حياة الإنسان تفرض عليه أن يزيد من كلماته و ينقص منها ، و يغيّر فيها أيضا ، كما حصر أيضا التّغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى في ثلاثة أنواع ، ممثّلة في **التّضييق (التّخصيص) و الاتّساع (التّعميم) و الانتقال** معرّجا في ذلك على أسباب هذا التّغيّر .()

و قد أشار اللّغوي الأمريكي **بلومفيلد (L . Bloomfield)** إلى مسالة تغيّر المعنى و حصرها في نماذج معيّنة ، وهي : تضييق المعنى ، توسيع المعنى ، الاستعارة ، الكناية ، المجاز المرسل ، المبالغة ، انحدار الدّلالة ، انحطاط الدّلالة و رقي الدّلالة .()

أمّا بالمر فكان اهتمامه أيضا واضحا بهذه المسألة ، حيث تناولها في خضمّ حديثه عن مصطلح علم الدّلالة التّاريخي الذي يعني دراسة تغيّر المعنى عبر الزّمن ، و قد أكّد أنّ عددا كبيرا من الدّراسات التي قام بها العلماء عن علم الدّلالة هو من النّوع التّاريخي ، و أنّ مصطلح علم الدّلالة استخدم أوّلا في الإشارة إلى تطوّر المعنى و تغيّره ، ثمّ خصّص حديثه أيضا عن أنواع التّغيّر مستعينا في ذلك بتصنيف **بلومفيلد** ، و التي حصرها في : تضييق المعنى ، توسيع المعنى ، الاستعارة ، الكناية ، المجاز المرسل ، المبالغة ، انحدار الدّلالة ، انحطاط الدّلالة و رقي الدّلالة ، مرجعا إيّاها إلى أسباب و عوامل ، أهمّها المصادفة ، و الاحتياجات الجديدة و الحظر و التّحريم.()

أمّا ستيفن أولمان فقد انصبّ اهتمامه أيضا على كلّ ما يتعلّق بعلم الدّلالة ، و كان لمسألة تغيّر المعنى نصيب من هذا الاهتمام ، حيث تحدّث بصورة موسّعة عن أسباب تغيّر المعنى و التي حصرها في الأسباب اللّغويّة و التّاريخيّة و الاجتماعيّة ، كما تحدّث أيضا عن كيفيّة تغيّر المعنى ، إذ حصرها في مجموعة من المظاهر ، منها توسيع المعنى و تضييقه و انتقال المعنى و المبالغة .()

أمّا بالنّسبة للّغويين **المحدثين** العرب فكان لهم أيضا إسهام كبير في هذا المجال ، إذ ركّزوا في مصنّفاتهم على أسباب تغيّر المعنى و مظاهره و أشكاله ، على الرّغم من عدم اتّفاقهم على استعمال مصطلح التّغير أم التّطوّر ، فهناك من استعمل مصطلح التّغيّر و هناك من استعمل مصطلح التّطوّر ، و هناك من زاوج بين الاستعمالين معا ، ومن أهمّ هؤلاء الذين اهتمّوا بهذا المجال نذكر: **إبراهيم أنيس ، أحمد مختار عمر ، كمال بشر ، علي عبد الواحد وافي ، رمضان عبد التّوّاب ، محمود السّعران ، فايز الدّاية و غيرهم .**()

و يمكن القول إنّ البحث في مسألة التّطوّر الدّلالي في الدّرس اللّغوي العربي القديم و الحديث مسألة متشعّبة و واسعة الآفاق ، و تحتاج إلى دراسة كلّ مصنّف على حدة ، و ذلك بغية الوقوف على نظرة كلّ مؤلّف لهذا الموضوع ، و بغية الوقوف على حقيقة هذه الظّاهرة في كلّ لغة من اللّغات .

قائمة المصادر و المراجع :

-إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، النّاشر، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط3 ، 1976م .

- عبد الكريم محمّد حسن جبل ، في علم الدّلالة دراسة تطبيقيّة في شرح الأنباري للمفضّليّات ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة .

-حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّاميّة ، بيروت ، ط 2 ، 1410هـ - 1990م .

- عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة .

-- أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى أواخر القرن العاشر الهجري .

- عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ط 2 ، 1406هـ – 1986 م .

-أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة .

- عبد العزيز مطر ، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، ص 279 ، حاكم مالك لعيبي الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرّيّة ، بغداد ، 1400هـ - 1980م .

- ابن دريد ، محمّد بن الحسن ، بن دريد الأزدي البصري (ت 321هـ) ، جمهرة اللّغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدّكن ، 1345هـ ، " باب الاستعارات " ، ج 3 .

-ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، ج 3 .

-الرّازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322هـ) ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، عارضه بأصوله و علّق عليه حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، مركز الدّراسات و البحوث اليمني ، صنعاء ، ط 1 ، 1415هـ -1994م ، ج 1 .

-ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، بن زكريا (ت 395هـ) ، الصّاحبي ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة .

*المرباعُ : ما يأخذه الرّئيس و هو ربع الغنيمة ، و قد كانوا في الجاهليّة إذا غزا بعضهم بعضا و غنِموا ، أخذ الرّئيس ربعَ الغنيمة خالصا دون أصحابه ، و النّشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحيّ ، و الفُضُولُ : ما عُجِزَ أن يُقسَمَ لقلّته و خُصَّ به ، أو ما فضل من القسمة ممّا لا تصح قسمته على عدد الغزاة ؛ كالبعير و السّكّين و نحوهما .

- السيّوطي جلال الدّين عبد الرّحمن (ت 911هت) ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها شرحه و ضبطه و صحّحه و عنون موضوعاته و علّق حواشيه محمّد أحمد جاد المولى بك ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجاوي ، مكتبة دار التّراث ، القاهرة ، ط 3 ، ج 1 .

- ابن عاشور ، محمّد الطّاهر ، تفسير التّحرير و التّنوير ، الدّار التّونيسيّة للنّشر ، 1984م ، ج 15 ، ص 341 .

-الرّاغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمّد ، المفردات في غريب القرآن ، تمّ التّحقيق و الإعداد بمركز الدراسات و البحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ج 2 .

-: ف ، ر ، بالمر ، علم الدّلالة إطار جديد ، ترجمة صبري إبراهيم السّيّد ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1995 م .

- فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي ، النّظرية و التّطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيليّة ، نقديّة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريّة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1417هـ - 1996 .

- أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1985 م ، ط 2، 1988م ، ط 3 ، 1991م ، ط4 ، 1993 م ، ط 5 ، 1998م .

محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ، ص 292- 293 ، و ينظر الكتاب الأصلي : Michel bréal. Essai de sémantique,science des significations, paris ,1879 .

— Arséne darmesteter: La vie des mots,paris librairie delagrave,1950

-جوزيف فندريس ، اللّغة ، تعريب عبد الحميد الدّواخلي ، محمد القصّاص ، الناشر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي .